الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

شرح كتاب مدارج السالكين · الحلقة 7

أجناس مايتاب منه

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين. ما زلنا متنقلين في مقامات ومنازل إياك نعبد، ولعل هذا الدرس الرابع حول مقام يعتبر من أجل المقامات، وهو مقام التوبة. وكنا قد تحدثنا فيما مضى عن أحكام التوبة، في آخر درس الأحكام الفقهية المتعلقة بالتوبة، وخاصة في إرجاع الحقوق المتعلقة بأهلها في كلام طويل. واليوم حديثنا عن أجناس ما يتاب منها، حتى يستحق التائب اسم التوبة، يعني أكيد لا يتوب الإنسان من الطاعة، قلنا إن التوبة إما أن يتوب من معصية وإما أن يتوب من تقصير في طاعة. التوبة الأولى توبة عامة الناس، والتوبة الثانية توبة خاصة الخلق من الأنبياء والرسل، إذ إن الله يقول: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾، فهي ليست توبة من باب العصيان، إنما هي توبة من باب الترقي في كمالات الطاعة. والعبد مهما تاب إلى الله ومهما عبد الله لابد أن يشعر أنه في حق الله مقصر، هذا التقصير لهذه النفس السامية العلية يوجب له نوع من أنواع التوبة بالخوف والخشية لله.

فأجناس ما يتاب منها من حيث العموم: الكفر، أن يتوب الإنسان من الكفر، والكفر أقسامه خمسة، كما بين ذلك ابن القيم رحمه الله الآن. القسم الأول كفر التكذيب، أن يقول: لا يوجد شر ولا يوجد دين ولا يوجد رسل ولا يوجد أنبياء وكذا. القسم الثاني كفر الإباء والاستكبار، حتى ولو كانوا مصدقا، إذا أبى واستكبر أن يعترف وهو في قرارة نفسه مصدق، هذا كفر يعني معظم الكافرين، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾، في من قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾، فرعون كان يعلم حقيقة أنه ليس ربه، إنما قال تعالى:

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾. قال لهم: أنا الله، فرعون، إخواننا، فرعون دا لما جا الدنيا مش اتولد؟ معروف اتولد؟ مش السماوات دي موجودة؟ كيف يقول يقول أنا الله؟ لو خلقت أنا بكون كذاب ليه؟ لأنها موجودة قبل شنو؟ قبل، الخلق ده هو الله. وفي وجدان الناس النكتة المشهورة، أنه قعدوا مع بعض، قال ليه فرعون قال لي هامان، قال له: لما جيت أخلق الناس راسك ده تعبني تعب شديد، قال لي: وشنو؟ طيب إذا كان فرعون خلق الناس، اللي كانوا حيين قبل فرعون خلفوا منو؟

هذا هو كفر الإباء والإعراض، ومنه كفر إبليس، إبليس لم يكن منكرًا لوجود الله مكذبًا، إنما كان مستكبرًا، يعني متأبيًا، يعني أبى، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، فلذلك هذا كفر الإباء والاستكبار. الكفر الثالث كفر الإعراض، هو يختلف عن كبر الإباء والتكذيب، لا يستمع ابتداء، يعرض. أبناء عبد ياليل لما أتاهم الرسول عليه الصلاة والسلام في الطائف قال له قائلهم: إن كنت نبيًّا مقامك أخطر من أن أكلمك. قالوا للرسول عليه الصلاة والسلام: إن كنت نبي فمقامك أخطر من أن يكلمك مثلي، وإن كنت مكذب على الله فأنا لا أرد عليك. هذا إعراض، يعني ولا داعي يسمع ابتداء عشان يقتنع، هذا معرب. والكفر كفر الشك، دا لا قادر يقول ما نبي ولا قادر يقول دا نبي، هذا كفر في النهاية هو شنو؟ هو كفر لأنه يحسب على التكذيب والإعراض والإباء والاستكبار. والكفر الأخير كفر النفاق. المؤمن إذا تاب ينبغي أن يكون ابتداء قد خرج من هذا الكفر بأنواعه الخمسة.

لكن ابن القيم أهم جزئية ناقشها نقاشه لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، لأنها من الآيات التي تحدث نوع من أنواع البلبلة في أذهان الشباب. قال ابن القيم: أولًا، إطلاق الكفر في القرآن والسنة قد يكون كفرا أكبرا وكفرا أصغرا، ويا إخوان مسائل التكفير فيها خلل، وسبب ذلك عدم تقعيد هذه الأمور تقعيد علمي شرعي. يعني أولًا بعض نصوص السنة والكتاب كخروج مخرج التحذير، ولا تريد المعنى حقيقة، إنما تريد التنفير، كتسمية الذنوب كفرًا، بعض الذنوب الشارع سماه شنو؟ كفر، قال صلى الله عليه وسلم: اثنتان في الناس هم بهما كفر: النياحة على الميت والطعن في الأنساب. النياحة على الميت غاية ما فيها أنها من الكبائر، فلا يمكن أن تكون شنو؟ كفرًا بمعنى الكفر الأكبر المخرج من الملة، إنما أطلق عليها الكفر من باب التحذير والتخويف من ارتكاب الفعل. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: من أتى امرأته في دبرها فقد كفر، في سنن أبي داود، إتيان المرأة في الدبر، ولكن رسول الله عليه الصلاة والسلام أراد أن يخوف

الناس من الفعل فأطلق عليه الكفر، فإذا ليس كفرًا أكبر، إنما كفر شنو؟ يصبح من باب الكفر شنو؟ الأصغر أو الكفر العملي وليس الكفر الاعتقادي. الكفر الأكبر الذي يخرج عن الملة، أما الكفر الأصغر هو الكفر العملي، كل المعاصي يمكن أن تكون كفرًا من باب من الأبواب، ولكن ليست كفر من باب الاعتقاد.

ومن ذلك مثلًا المعاصي أنها تكون من باب الكفر، من باب قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾، يعني العاصي يفضل هواه، وكأنه عبد هواه، كقوله عليه الصلاة والسلام: تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش. يعني شنو؟ زول جاري ورا الدنيا لدرجة أنه كان دخلت ما لاقي وقت يطلع السوكة دي، هل في ناس زي دي؟ في وبيصلوا الصلوات الخمسة في الجامع؟ في ولا ما في؟ ممكن يكون جاري جري شديد، هذا لا يمكن أن يقال إنه كافر، وإن كان يقال: تعيس عبده شنو؟ الدرهم وعبد الدينار، من باب الإقبال الشديد، وليس من باب العبادة التي هي عبادة الاعتقاد، هذه قاعدة.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: سباب المسلم فسق وقتاله كفر، وقتاله شنو؟ كفر، ليس بمعنى الكفر الذي يخرج عن الملة، لأن القتل غاية ما في أنه من شنو؟ من الكبائر. يا إخوان، هل ممكن الزول يكون مؤمن ويقتل ها؟ ممكن، ممكن، زول قتل مية نفس، وفي النهاية بقى من أهل الجنة، ولا يدخلوا الجنة إلا شنو؟ إلا مؤمن، هذا تنفير من الفعل. والصحابة قال لهم الرسول عليه الصلاة والسلام: لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم شنو؟ رقاب بعض، لا أن نقول إن الصحابة قد شنو؟ كل الذين ضربوا رقاب بعضهم واقتتلوا قد كفروا، هذا لا يجوز، ليه؟ قال النووي رحمه الله: الصحابة استثناهم الشارع من الوعيد، فعلي قال عنه رسول الله إنه من أهل الجنة، ولكنه لما قال: لا ترجعوا بعدي كفارًا، أراد أن ينفرهم من شنو؟ من الفعل. إلى الآن كل مسلمين اختصموا مع بعض في أي محلة يعتبر هذا من الكفر عياذًا بالله، وهو حتى وإن لم يكن كبيرة يعتبر أكبر من الكبيرة، وهو شنو؟ الكفر الأكبر من الكفر الأصغر؟ الكفر أصغر يا إخوان.

الكفر الأصغر، الناس لما يسمع كفر أصغر بيقول: والله كويس، في الكفر الأصغر ده كويس معنا شديد، نحن الكفر الأصغر ده دايرينه، يا إخوانا، الكفر أصغر ليس بالنسبة للكبائر، هو أشد من الكبائر، كفر أصغر بالنسبة للكفر الأكبر، يعني ترتيب الشرور: الكفر الأكبر، الكفر الأصغر، ثم بعد ذلك الكبائر. يعني الكفر الأصغر كالحلف بغير الله، هذا كفر أصغر، من حلف بغير الله فقد كفر، كفر شنو؟ أصغر، الرياء من الشرك الأصغر، كويس؟ لكن الرياء والحلف بغير الله أشد حرمة من الزنا وقتل، بيقول: والله دي حاجة تمام، احنا الأصغر دي بينفع معنا،

يا أخي الأصغر ده كعب، الأصغر أسوء من الكبائر، من الربا وعقوق الوالدين وقتل النفس والتولي يوم الزحف، كل الكفر الأصغر، لكن في النهاية هو شنو؟ كفر، أصغر بالنسبة لشنو؟ لمن هو أكبر منه من يخرج من الملة ويقدح في الاعتقاد بالكلية؟

طيب، القاعدة الثانية يا إخوانا: فرق بين الأفعال والأعيان في الكفر، فرق بين الأفعال وبين الأعيان في شنو؟ في الكفر، بمعنى قد يفعل الإنسان ما يكفره ولا يكفر، فيكون فعله كفرًا لأنه بنص الشارع كفر، ولكنه لا يكفر لعدم وجود إيقاع الحكم على المعين تحديدًا. بمعنى نسمي الأفعال شنو؟ كفر، أي فعل من الأفعال؟ اللي سماه الشارع شنو؟ كفر، الحلف بغير الله، أي زول يحلف بغير الله كفر، هذا كفر أفعال، أي زول يحلف بغير الله شنو؟ كفر، هذا تكفير لمن؟ للأفعال. واحد حلف بغير الله قدامك لو قلت له: يا كافر، تكون أخطأت خطأً شرعًا تكون أخطأت، ليه؟ لأن هذا كفر معين، فرق بين الأعيان والأفعال. فالأفعال تكفر تأدبًا مع الشارع، ولكن الأعيان لا يكفرون لوجود موانع تمنع أن يقع في الكفر. يا إخوانا، الإنسان قد يكون جاهل وما أعرف أيش هو كفر وقع فيهم، أنت تعلمه لكن ما تكفره، وهذي قاعدة مهمة جدًّا، ليه؟ لأنه إذا وقع في الكفر بفعله لا يتحقق الكفر إلا بانتفاء الموانع وتحقق الشروط، وهذا يسمى الاقتضاء، يعني أن يقتضي الكفر أن يكون كافرًا، أن يتحقق الكفر فيه، لا يتحقق إلا بانتفاء خمس موانع، منها الإكراه.

عمار ابن ياسر اضطر إلى الكفر فكفر، أنزل الله عز وجل فيه قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾، حتى قاله الرسول عليه الصلاة والسلام: كيف تجد قلبك؟ قال: قلبي كما هو معك. قال: إن عادوا إلى التعذيب فعد إلى الكفر، تعالوا عذبوك تاني اكفر. هذا يعني أنه لم يكن كافرًا الكفر الذي يريده. وكثير من الناس الآن يقع في ممارسات شركية، ولكن من يفعله يفعله في الأغلب هو شنو؟ جاهل، فلذلك لا يكفر. معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حكمه في الشريعة شنو؟ كفر، السجود لغير الله شنو؟ كفر، ولكن معاذ لا يكفر، ليه سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يا معاذ، ما هذا؟ قال: جئت من اليمن فوجدت القوم يسجدون لأساقفتهم، وأنت أولى بالسجود منهم؟ قال: يا معاذ، لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها، غير أنه لا يكون إلا لله.

في الكفر يعملوا شنو؟ يكفر ولا يعلم؟ دي مشكلة الناس، ما قال يعلمون، طوالي عمل كفر يقول له: مشرك، يعلمه؟ يقول له: دا شرك، ودا ما صحيح، لكن ما يكفروه. يعني الناس الآن شنو؟ ما معلمه بس لمجرد عمل كده، مشرك، خلاص انتهى الكلام، يصدر الأحكام، وهذا لا يجوز. قصة ثانية، رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من حنين أو فتح مكة، كانت لهم شجرة، يعلقون أسلحتهم يتبركون بها، هذا شرك وكفر، ليه؟

التماس البركة من شنو؟ من غير الله، التماس البركة من شجر، وفي ناس لحد بيلتمسوا البركة من الحاجات دي. بعض المسلمات الفتح قال: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، ما قال لو كفرتوا وخرجتوا من الملة وامشوا اغتسلوا وتعالوا، قال: والذي نفسي بيده، قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ﴾، لأنه اتخاذ شجرة للتبرك كأنما اتخذها إله، فهو يستمد منها مددًا ويلتمس منها خيرًا، وكان ينبغي أن يكون اعتقاد قلبه مع الله جل جلاله.

يا إخوانا، عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه قطع شجرة الرضوان، قال: حتى لا يأتي من بعدنا أقوام يقدسونها من دون الله، قطعها وقال: حتى لا يأتي من بعدنا إخوان يقدسونه. نفس عمر، الحجر الأسود، قال شنو؟ إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله يقبله لما قبلته، ده توحيد ثقيل بالمناسبة، لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لما قبلته. والذي نفسي بيده، لقد قلتم كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ﴾، كما له شنو؟ عد رسول الله عليه الصلاة والسلام التبرك بالشجر من باب اتخاذ الآلهة. طيب، لكن الأهم في المسألة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكفرهم، إنما بين لهم. ومن ذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وتجدني أكثر ما أنهى عن تكفير معين، فإن الرجل قد يقوم به الفعل، فعل الكفر، أو قول الكفر، ولكن لعدم إرادته أو لجهله أو لحسنات ماحية أو لخطأ غير مقصود، فإن الله تبارك وتعالى لا يعتبره من الكفار، وأنت ممنوع أن تطلق عليه الكفر، تعينه، يعني ما تقول: فلان الفلاني ده كافر، وفلان الفلاني ده شنو؟ كافر، إلا من كان أصله الكفر. أما الأصل من كان فيه من أصل الإسلام، شهد الشهادة واستقبل القبلة، ثم وقع جهلًا في بعض الأفعال التي تخل بالإيمان وتقدح في الاعتقاد، وقد تفضي إلى الكفر، فلا يجوز تكفيرهم.

انظر، يقول الشيخ الإسلام ابن تيمية: والحديث في البخاري في كتاب الأنبياء، قص علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم القصة، قال: إنه فيمن كان قبلكم رجل قال لأبنائه، جمعهم: إن أنا مت فحرقوني ودقوا عظمي وذروه للريح في البحر، لئن قدر الله علي، ثم قال: إن قدر الله علي ليعذبني عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين. قال عليه الصلاة والسلام: ففعل به أبناؤه ما وصى، فلما ذروه للريح قال الله للريح: اجمع، فجمعته، فمثلًا، بقي قدام الله، قال الله له: ما الذي حملك على هذا؟ قال: خوفي منك. قال: قد غفرت لك وأدخلتك الجنة. يقول شيخ الإسلام رحمه الله: هذا قال الكفر، ودل على الكفر وشك في قدرة الله، ولكنه لم يقع به

الكفر في الآخرة، ذلك لأنه قام بقلبه ما يمنع من الكفر به، هو مانع الجهل والتأويل. شف بالله يا إخوانا، الزول ده ممكن يا إخواننا يكفر، لكن في النهاية شنو؟ وفي النهاية بعض الروايات قالت إنه كان نباشًا، عشان كذا قال لأولاده، عشان الله ما يلقاني شتتوني، قال لهم، اتخيل أن الله ما بيلقاه.

يا إخوانا، الحديث، حديث يعني عظيم، حديث عظيم جدًّا، نباش بينبش قبره بيطلع الكفن يشيله ويخليه، شايل أكفان الدنيا دي كلها، والله هذا مجرم دا. عشان كدا لما جه قرب الموت قال لهم: تعالوا اسمعوا، أنا عملت عمل ثقيل، ما أظن الله يتوب علي، عشان كده يعملوا لي كده وكده وكده وكده. يا إخوانا، الذي يشك في البعث حكمه شنو؟ كافر ولا ما كافر؟ كافر، ولكن هذا لم يقع به الكفر لوجود مانع شنو؟ مانع الجهل، جاهل. ولذلك انظر أخي الحبيب، إطلاق الكفر ينبغي أن يتحرز فيه، ولأن تخطئ في الإسلام أفضل من أن تخطئ في التكفير، زول يكون جوة يعني كفر ما تطلعه من الكفر، تخطئ وهو يكون كافر وأنت تبقى مسلم، أفضل مما قال يكون مسلم شنو؟ أنت بقي شنو؟ أنت بقي كافر. فلابد أن يتحرز الشباب وأن يتروا في قضايا التكفير.

أناقش من خلاله مسألة مهمة جدًّا، كثير من الشباب من أجيالنا في الجامعات، كثير من الأجيال تعاني من داء ومرض الوسوسة، وهذه أخطر أنواع الوسوسة في العقائد، يعني مش في الله بس، ممكن يكون في النار، يا أخي الناس دي كلها الكفار كله يدخلوه النار، بعدين في أحاديث ضرسه كجبل أحد جوا النار، أحد ما بين منكبه إلى شحمة أذنه مسيرة ثلاثة أيام. يقول: خلاص أول حاجة النار دي موجودة الآن موجودة، والصيف الشديد نفس جهنم، جهنم تتنفس، الصيف بيجي النفس اللي احنا فوقه ده الآن بتاع جهنم، بس اتنفست جهنم تنفست، الله لا يوريني يوريك، ربنا ما يورينا. الصراط جسر على جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف، يمر عليه الأولون والآخرون، الزول يحك راسه يقول: بالله الكلام ده أحسه كيف يحصل؟

يا إخوان، الوسوسة في هذا الباب خطيرة جدًّا، الشباب بيعاني، وبعضهم يعاني من الوسوسة في العبادة، ما يسمى طبًّا بالوسواس شنو؟ القهري، الوسواس القهري، وهو له علاج من الشرع، وقد يوجد له علاج في الطب لا يمنع، فالباب فيه سعة طالما أنه حالة مرضية، قد يكون لاختلال في مواد وتركيبة الجسم. لكن الشيء المهم غالب الوسواس في سن معينة، ودي ملاحظة، الوسواس ده بيجي للشباب في سن شنو؟ معينة، حتى تلقى الشباب القاريين في الجامعات ديل إيمان قاطع، أصله ما شك أنه في جنة وأنه في النار. الحل والعلاج بثلاثة أشياء أو في ثلاثة أمور: الأمر الأول في علاج الوسواس العلم والمعرفة، العلم والمعرفة. يا إخوانا شوفوا الوسواس بضايق الزول، مضايقة الوسواس لصاحبه مؤشر إيجابي وصحي، ليه؟ الملحد

بيقول: الله ما فيه، وبكون مبسوط وتلقاه يضحك ويتونس ويمشي ويكلم الناس، تقولوا أنتوا مؤمنين لسه بالخرافات دي. أما الزول الموسوس ده معناه شنو؟ أقلقه لأن في قلبه إيمان. فمعرفة والعلم، لأن الصحابة قالوا: يا رسول الله، إن الشيطان يحدثنا في أنفسنا يوسوس، يقول لك: ما الذي خلق كذا؟ ما الذي خلق كذا؟ حتى يقول لهم: وما الذي خلق، ومن الذي خلق الله؟ وأين الله هو؟ وكيف هو؟ قال: يا رسول الله، إنه يحدثنا بأمر إنا نخشى أن نهلك أن تحدثنا به، لو كلمناه نحن نطلع برة الدين ذاته. قال: أوجدتموه في صدوركم؟ قالوا: بلى. قال: ذاك صريح الإيمان.

العلم بيذهب الوسواس ويطفئ ناره بمعرفة هذه النصوص، يعني هذا العلم ومعرفة هذه النصوص تذهب شنو؟ حدة الوسواس، وأن يعلم أنه لا يحاسب بذلك: إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تفعل. قال أنس: فرحهم بهذا الحديث كأنما أمثال الجبال قد أزيح عنه، الصحابة، وهذا يأتي لكل البشر. ثم أخبر عن العلاج: إن وجدتموه فقولوا: اللهم أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت على كل شيء قدير. إخواني، في ناس بيقولون: والله كان مات بنزول في قبره، في قبره فيه نعيم وفيه جحيم، وطيب كان بعثه والله في قيامة، وفي النهاية بيخش الجنة، في خلود في الجنة. أنت اللي بترد على نفسك رد علمي، أنت تموت في الدنيا دي تموت؟ ما تموت ليه؟ لأنه مرتبط ببعض الأشياء والحياة جميلة خلاص، الحياة في الجنة أجمل ولا مقارنة. يوم القيامة بتلقى شنو؟ يا إخواننا، لأنه في الدنيا يود الخلود، طيب في الجنة ألا تود الخلود؟ يا أخي الجنة متعتها أنه لا نوم فيها، قال عليه الصلاة والسلام: لأن النوم أخو الموت. في دفع الوسواس بالعلم والمعرفة.

ثانيًا، العلاج الثاني، يدفع الوسواس بالدعاء، الذي هو الاستعانة والاستعاذة واللجوء والاحتماء بالله. ما هو مصدر الوسواس؟ الوسواس مصدره شنو؟ الشيطان، ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾، ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾. طيب الشيطان لا يوجد سبيل إلى دفعه إلا باللجوء إلى خالقه، ضرب ابن القيم في المدارج مثالًا، قال: الرجل يسير في طريق فاعترضه كلب، فجعل الحجر ويرمي الكلب، قال: بذلك لا يدفع الكلب إنما يهيجه، صح ولا ما صح؟ كان شال الحجر ورمى في الكلب، الكلب بيعمل شنو؟ بيمشي يشب الحجر، وبيجي تاني بيصير شنو؟ أشرس. قال: استعن بسيده، قل لسيدك: كلب، امسك الكلب ده، لن يبذل سيد الكلب مع الكلب مجهودًا، إنما هي كلمة واحدة لا يزيدها، بس كلمة من حرفين، كان الكلب بيعمل

شنو؟ بيزيده؟ الشيطان كلب، ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾، بالله وقل: يا ربي، الشيطان خلق من خلقك، امسك الشيطان عني واصرفه، وهذا معنى أعوذ بالله، أعوذ بالله، احتمي بالله من شنو؟ ما معنى الاستعاذة؟ الاستعاذة والاحتماء.

ثالثًا، بعد ما تحتمي ماذا تفعل؟ أن لا تلتفت إلى الوساوس وأن لا تشغلك، فلو أنها بلغت درجة شغلك حقق الشيطان ما يريد، وهو تعطيل طاقاتك في الطاعة، الشيطان دايم يتعبك ما تطيع، بيجيك يقول لك: الله ده كيف؟ يقول لك: حقك أنت كفرت خلاص. فأنت لا تسترسل مع أفكارك ولا تلتفت، قول: يا الله، أنا داري الجنة بس، فين العبادة دي؟ جاء قال لك: صليت خمسة ولا أربعة ولا ثلاثة، ولا إذا كان كثر وصار وسواسًا كثيرًا، لا تلتفت، صل ما تعرف وعند الله مقبول، توضأ ما تعرف عند الله مقبول، مش عملت وشك؟ اوعك ترجع، عملت المضمضة والاستنشاق وصلاتك صحيحة. بهذه الصورة التي علمها النبي صلى الله عليه وسلم، ماذا أراد النبي صلى الله عليه وسلم؟ أراد أن يعامل الشيطان بنقيض قصده، ماذا يريد الشيطان؟ يريد التعطيل، وأراد النبي أن تسترسل في الطاعة، ولا إلى الشيطان، انتهى الكلام، وهذا علاج نبوي نافع جدًّا.

طيب، قلنا الأشياء التي تمنع إنزال الكفر، قد يكفر الإنسان عن طريق الخطأ وهو لا يقصد، بكلمة تخرج منه، كحديث مسلم، الرجل الذي كان تائبًا لما أخذ بخطام الناقة قال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، هذه الكلمة شنو؟ في الشريعة شنو؟ زول قال: يا الله إن أنت عبدي، اعوذ بالله، هذا كفر، لكن الحالة التي قال فيها الكلام تراعى. قال عليه الصلاة والسلام: أخطأ من شدة الفرح. فالإنسان إذا كان أو غضب شديد وصدر منه ما يوجب الكفر، علينا ألا نسرع بشنو؟ بتكفير، لكن كان قاعد رايق وقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، وده ماله؟ ده كافر، كفر ما فيه شك. يعني ينبغي أن تراعى الحالة التي قال فيها قول شنو؟ قول الكفر، وقد لا يكفر لوجود حسنات ماحية.

يا إخوانا، الرسول عليه الصلاة والسلام قال لأخواننا: أنا ماشي المحل الفلاني للكفار، ما في زول يوريهم الخبر، واحد قام كتب جواب للكفار. حكمه في الشريعة شنو؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ لموالاة الكفار ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، يعني لا يجوز، كويس؟ فعل ذلك حاطب ابن أبي بلتعة، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكفره ابتداء. حسناته الماحية جعلت النبي عليه الصلاة والسلام يسأل: أفعل هذا موالاة للمشركين؟ وحبًّا لدينهم

أن يظهروا؟ أم بدافع الدنيا؟ قال حاطب: والله يا رسول الله، إن قلبي على الإيمان مقيم، وأنا رجل أبنائي وأهلي وأموالي في مكة، وأحببت أن تكون لي عندهم يد، حتى لا يؤذوها. فقال صلى الله عليه وسلم: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فإني قد غفرت لكم. بدري دي، عجيب.

وفي امرأة ابن حجر قال عليها شنو؟ قال: امرأة أدركت من الفضل ما فضلًا لم تدركه امرأة مثلها ولم تشاركها فيه. المرأة دي اسمها بنت عبيرة ابن ثعلبة، المرة دي سبع أبناء شباب كلهم شهد بدر، سبعة من أبنائه شهدوا بدر. يا أخي والله المرة دي خلاص، سبعة من أبنائها شهدوا بدر، النبي يقول: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا شنو؟ ما شئتم، وقال: لا يدخل النار من شهد بدرًا، أي مش يخش النار وبعدين يخش الجنة، بيخش الجنة بدون نار، في ناس بيخشوا الجنة بعد ما يخشوا النار، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ﴾ شنو؟ لكن في عقيلة دي بنت عبيرة ابن ثعلبة، أول حاجة عند زوجها اسمه رفاعة عبد الحارث، جابت منه ثلاثة، وتزوجت البكير ابن يالين الليثي، جابت منه أربعة، وثلاثة من ذاك وأربعة من ذاك، السبعة أمهم، ان شاء الله لأنهم يشفعون لها. إخواننا والله يعني دي حاجة عجيبة خلاص.

طبعًا الحسنات الماحية بمعنى شنو؟ بمعنى قد يكون عنده سابقة في الإسلام، يا إخوانا في ناس في الإسلام عملوا عمل يعني كبير، لما نيجي أخطأ خطأ، قد يكون فيه أنه يكفر أو فعل حمال أوجه، هل يكفر؟ هل يكفر؟ أم ينظر الناس إلى شنو؟ إلى ماضيه وسابقته في الإسلام؟ هذه مسألة مهمة جدًّا في مسائل التكفير.

طيب، بعد هذا مما يتاب منه من الأشياء اللي بيتوبوا منها، يتاب من الفسق والعصيان: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ﴾ وشنو؟ ﴿وَالْعِصْيَانَ﴾. الفسوق والعصيان، الفسوق والعصيان إما مقترنين مع بعض وإما أن يرد كل واحد منهما مفردًا، الفسق الأكبر كالكفر هو الخروج من الدين، لأن مجرد الفسق هو شنو؟ فسق يفسق إلى شنو؟ إذا خرج، والفأرة فويسقة، الفارق بتسمى فويسقة. طيب، فالخروج من الشيء، الخروج من الطاعة المسمى فسق، والخروج من الإيمان يسمى فسق. الفسق الذي هو فسق الأعمال وليس فسق والاعتقاد، هذا الفسق فسق الأعمال إذا ورد منفرد يعني كل المعاصي. وإذا ورد الفسوق مع العصيان، المعصية تعني شيء والفسق يعني شيء. المعصية تتعلق بالأوامر، ﴿أَفَعَصَيْتَ﴾ شنو؟ ﴿أَمْرِي﴾، ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾. المعصية تتعلق بشنو؟ بالأوامر، والفسق يتعلق بشنو؟ بالنواهي. لكن إذا ذكر الفسق وحده يعني النواهي والأوامر، لقوله تعالى عن إبليس: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ﴾ عن شنو؟ ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾. إبليس فسق في الأمر، وآدم في النهي عصى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾. أما إذا أطلقوا الاثنين مع بعض، الفسق في النواهي والمعصية في شنو؟ في الأوامر.

طيب، بعد الإثم والعدوان. كذلك الإثم، العدوان: الإثم إذا أطلق لوحده يعني كل ما يخرج عن الطاعة، والعدوان كذلك. لكن إذا اقترن، الإثم أخص بمحرم الجنس، والعدوان أخص بمحرم المقدار. محرم الجنس يعني شنو؟ في أشياء كان شوي ولا كان كثيرة حرام: الكذب، الزنا، السرقة. لماذا؟ إثم، دي تسمى شنو؟ إثم لأنها محرمة في شنو؟ في جنسها. العدوان بيكون ما تعلق بمجاوزة الحد، يعني شي مشروع لكن قام تجاوزه. قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾، ربنا أدّاهم المساحة دي، ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾، ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾. فالعدوان ممكن يكون يا إخواننا، طبعًا يا إخوان، العدوان في المقدار، يعني ربنا أباح للمضطر أن يأكل من شنو؟ من الميتة، لكن قال شنو؟ ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾. أباح له من لحم الخنزير، قام أكل. إذا كان الخمر بجوز لمن لم يجد إلا الخمرة ليروي عطشه عند الموت، يعني يريد أن يموت، هذا عدوان، لأنه جاوز المقدار. وهذا العدوان يكون في حق الله وفي حق البشر. في حق لله، عنده مقدار معين زي الميت اللي أداك مساحة، فإذا أنت اعتديت تكون اعتديت على الحق. والبشر، الله قال لك الزول الداير منه قروش ما تخلي لحقك، في زول عشان يشيل قروشه يعمل عدوان، عشان يطلع حقه ما يجوز، هذا عدوان، لا يجوز العدوان، عرفت؟ فمنع الإثم الذي هو قلنا الذنب في حق الله، ما كان محرم الجنس، ومنع شنو؟ العدوان. إخواننا يعني شنو؟ كويس؟ أنت شوف، شوف أنا أوريك العدوان الشغال كده، يمشي يجيبه أمر القبض يوم الخميس بالليل، معناه شنو؟ عشان يقعدهم الجمعة، تاخد حقك معناها، لكن ما تتعدى، ما هو لمن يديك حقك بتكون أنت رجع لك حقك، حرمته يبيت الخميس والجمعة مع أولاده، كونه عندك حق هذا لا يعني التعسف في استعمال شنو؟ في استعمال الحق.

طيب بعد في الفحشاء والمنكر، الفسوق والعصيان والفحشاء وشنو؟ والمنكر. إخوانا في قاعدة مهمة جدًّا لابد تعرفوها، فرق بين المعصية وبين المنكر، فرق، وده مفيد يا إخوانا، الإنسان يعني يستطيع أن يتعامل مع المنكرات، فرق بين المنكر وبين المعصية. المنكر أعم من المعصية، المنكر أعم من شنو؟ من المعصية، كيف؟ الفرق بين المنكر والمعصية: المعصية تصدر من المكلف لتكون معصية، والمنكر يصدر من المكلف وغير المكلف، والمنكر ينكر، بمعنى الطفل ما مكلف كان سرق ما بتكتب له سيئات، لكن ده منكر ينبغي أن يغير المجتمع، وأهله يأدبوه باعتباره شنو؟ باعتباره منكرا. قد يفعل الأطفال بعض الممارسات التي قد يكون فيها منكر، من الإساءة، من الألفاظ النابئة، من كذا من كذا، هذا شنو؟ معصية ولا منكر؟ منكر، لا تقول معصية، ليه؟ رفع القلم عن ثلاث، فلو فعلها أو فعلوها يعتبر منكر يغير. عشان كذا لما جه في التغيير ما قال المعاصي تغير، لو قال المعاصي تغير معناه إلا الزول المسؤول، لكن قال شنو؟ من رأى منكم منكر وشنو؟ المجنون دار يعمل منكر، الله بيسأله، ولا بتكتب له شيء، رفع القلم عن ثلاث، الصبي حتى يحلم، والمجنون

حتى شنو؟ يفيق. الناس يخلوه ولا يمسكوه؟ أنت تكسر عربية، تمنعه تمسك إيده، تخلع منه الحجر، تغير المنكر، ولكنها ليست معصية، المنكر يغير. فهذا الفرق بين المنكر وبين المعصية، المنكر أعم. الفحشاء متعلقة بنوع معين من أنواع المنكرات، هي المنكرات المتعلقة بالأعراض والفواحش وكذا.

طيب، وأخيرًا، أو قبل الأخير، النفاق. النفاق الاعتقادي والنفاق العملي. النفاق الاعتقادي كالنفاق معتب بن قشير، كويس؟ نفاق نثيلة، في المدينة أصلًا، قال: من أراد أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى نثيلة. ومن المنافقين عبدالله ابن أبي، بيكرهوا الدين، بس بيظهروا الإسلام عشان ياكلوا عيش، لكن منافقين. في نفاق عملي لا يجوز أن يطلق على صاحبه، آية المنافق ثلاث، إذا شنو؟ إذا حدث كذب، تقول على المنافق؟ لا يجوز، فيه شعبة من النفاق، عمليا ارتكب ما يدل على النفاق ولكن لا يعتبر من المنافقين كعبدالله ابن سلول وغيرهم، ومعتب ونثيلة وأوس بن قيظ، الأعمى اسمه منو؟ لما مر يسلم على أرضه أخذ التراب وقال: لو أني أعلم محمدا لرميت التراب في وجهي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم، أراد أن يضربه، دعوه فإنه أعمى البصر وأعمى البصيرة. أوس ابن قيظ هو قال: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ وما هي شنو؟ ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ وهكذا.

ثم أخيرًا القول على الله بغير علم، شر المنكرات، بل كل المنكرات ما ارتكبت في الغالب إلا بالقول على الله بغير علم. طيب، هذه الأجناس ما يتاب منها اثنا عشر جنسا.

طيب بقي تفسير: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ﴾ شنو؟ ﴿الْكَافِرُونَ﴾. ابن القيم رحمه الله يقول: اختلف أهل التفسير فيها، فمنهم من قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ تتعلق بأهل الكتاب ولا ترتبط بالمسلمين، وقال بذلك قتادة ابن دعامة السدوسي والضحاك بن سفيان. قال: وقولهم مرجوح بعيد. وقال بعضهم: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ جحودا، قال: وهذا بعيد، ليه؟ لأنه يكفر إذا جحد سواء حكم أو لم يحكم، لنفس الجحود شنو؟ يكفر، ولعل هذا تحدثنا عنه في الدرس شنو؟ السابق. يا إخوانا في زول جحد الصلاة ولكن صلى، يكفر ولا ما يكفر؟ يكفر، إذا جحد الشيء حتى ولو لم يفعلوا، يعني مثلا قال الزنا ده حلال لكن ما زنى، كافر ولا ما كافر؟ يكفر لمجرد شنو؟ لمجرد أنه جحد. طيب، قال أيضًا: ﴿فَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ بأن يترك جميع ما أنزل الله، بما في ذلك الممارسات والتفاصيل ودقائق الدين، فإذا تركها كلها يعتبر كافر، وقال بهذا عبدالعزيز الكناني، وقال ابن القيم: وهذا أيضًا تأويل بعيد. وقال البغوي ناقلا ذلك عن عموم العلماء في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ﴾ شنو؟ من تعمد مخالفة النص الشرعي فحكم بغير ما أنزل من غير جهل ولا خطأ في

التأويل، وهذا سكت عليه ابن القيم ولم يضعفه، ونقل هذا البغوي عن عموم شنو؟ العلماء. وقال ابن القيم: ومنهم من قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ لمجرد أنه حكم بغير ما أنزل الله، الآية على ظاهرها، يكفر كفرا أكبر يخرج من الملة. قال ابن القيم: والصواب أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفر الأكبر والكفر الأصغر، فتارة يكون كفرا أكبر وتارة يكون كفرا أصغرا. قال رحمه الله: فمن اعترف بأن الحكم حكم الله، واعترف بأنه حكم بغير ما أنزل الله مستحق للعقوبة، وأن حكم الله أفضل، ولكن عدل عنه في واقعة، قال: هذا كفره كفر أصغر. قال ثانيا: فإن اعتقد أنه مخير، أو أن الحكم بغير ما أنزل الله ليس واجب، أو أنه يحكم بما شاء، أو أن حكم غير الله وحكم الله سيان، هذا يكفر أكبر يخرج عن ملة الإسلام. قال: وإن أراد الحكم بما أنزل الله وأخطأه فمثل حكمه حكم المخطئين الجاهلين. هذا تفصيل الذي ذكره ابن القيم في مدارج السالكين في منزلة شنو؟ في منزلة التوبة، عرفتم يا إخوان؟ هذه المسألة.

طيب، ناقش ابن القيم بعد ذلك مسألة مهمة من مسائل التوبة، مسألة قاعدة مسامحة المحب إذا أتى ما يوجب العقوبة. أنت إذا أحببت شخص إذا أتى العقوبة، المحبة تكون دافعا لشنو؟ لترك معاقبته. ابن القيم رحمه الله تعالى ضرب لذلك مثالا، قال رحمه الله، اسمع هذا الكلام، قال رحمه الله: موسى عليه السلام ألقى الألواح، وفي نسختها هدى لبني إسرائيل، وأخذ بلحية نبي مثله، أخذ برأس أخيه يجره، ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾. قال: وبالرغم من ذلك سامحه الله. ذو النون خرج دون أن يأذن الله عز وجل له بالخروج، فحبسه الله في بطن الحوت، ذلك لأن مقام موسى عند الله أجل من مقام من؟ مقام موسى عليه السلام أجل من مقام من؟ من مقام يونس يا إخوانا، هذي ما فيها شكلين، لأن أولو العزم من الرسل كم؟ خمسة، هم نوح وإبراهيم بالترتيب وموسى وعيسى ورسول الله عليه الصلاة والسلام، بترتيب الزمان يا إخواننا يعني، في الأول كان نوح بعده إبراهيم بعده موسى وبعده عيسى بعده جاء الرسول عليه الصلاة والسلام. أفضل الرسل، يعني ممكن تقول هؤلاء الرسل أفضل من شنو؟ من غيرهم، هذا يجوز لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا﴾ شنو؟ ﴿بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، وذكر فيهم موسى، قال شنو؟ ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ وهو موسى عليه السلام. فموسى ما قام به من معالجة الأقباط في مصر، وبني إسرائيل، وصبره على كلامهم، على أقوالهم، والجهاد والدعوة والصبر عليهم، كل الذي فعله من أخذ اللحية وإلقاء الألواح، ألقى الألواح غضبا لله وأخذ بلحية أخيه شنو؟ غضبا لله، ورجع موسى إلى قومه غضبان شنو؟ ﴿أَسِفًا﴾، غضبان لأنه لله أنهم من بعد موسى عبدوا العجل من دون الله. هذه جعلت لموسى مرتبة. ابن القيم بيقول: وإذا الحبيب أتى ذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع. وذي قاعدة تتعامل بها مع الناس، زول حبيبك، وطوالي معك، غلطة واحدة تذكر لي، يا أخي زول، أنت بتعرف عنه كل خير، مرة واحدة غلط تكره فجأة يا إخوان يدل على

عدم العقل. قال: وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيعه، محاسنه تشفع له. بين الناس ما في ممكن تبقى زول أخوك عشرين سنة يخسرك في شنو؟ في دقيقة، ما تقول والله نتذكر الزمان، والزول ده عنده معاني مواقف وعنده معنى. وقام ضرب ابن القيم مثال، قال: يقول تعالى يوم القيامة للعلماء، بيجيبوا العلماء يوم القيامة، يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة. والله يا أخي الزول بيبقى عالم ده مكانته عظيمة خلاص في الدين، والله العظيم، نسأل الله أنه يعني يعلمنا ما جهلنا ويذكرنا ما نسينا. يقول الله عز وجل للعلماء: إني كنت أعبد بفتواكم في الأرض، كنت أعبد بشنو؟ الواحد دار يعمل حاجة، وأنتم تخلطون كما يخلط الناس، جبتوا معاصي؟ عملتوا معاصي زي ما الناس بيعملوا، وإني لم أضع علمي فيكم لأعذبكم، اذهبوا فقد غفرت لكم. قال له: أنا ما حطيت من الأول عشان أجي أعذبكم. والله يا إخوانا درجة عالية عالية عالية شديد للعلماء. قال له: وأنتم تخلطون كما يخلط الناس، يعني العالم ده ملائكة؟ يقول له شنو؟ لم أضع علمي فيكم لأعذبكم، اذهبوا فقد غفرت لكم. لكن برضو أحيانا قد تضيق عليه ولا تسامحه أيضًا بدافع الحب، حق لا يكرر شنو؟ حتى لا يكرر خطأ، لأنه شخص بتحبه، أكبر من أذى شنو؟ من أذى غيره، هذي أيضًا يعني تراعى في

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/halqa/7/شروح-الكتب/شرح-كتاب-مدارج-السالكين

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com